

سَبِيلُ الدِّينِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن من نعمة الله علينا بهذا الدين القويم أن جعله سبحانه مباركاً على أهله؛ به تنتظم أمورهم وتجتمع كلمتهم ويلتئم شملهم ويتحد صفهم وتقوى شوكتهم، وبه تتحقق مصالحهم، وبه تندفع عنهم الشرور والآفات وتزول عنهم المحن والريزات، محققاً لهم السعادة والطمأنينة والتمكين والعز والقوة والمهابة والفوز والفلاح.

وليس شيءٌ من ذلك متحققاً لأمة الإسلام إلا بتمسك صادق واعتصام جاد بحبل الله المتين ودينه القويم وصراطه المستقيم، وهذه وقفة مع حديثٍ عظيم ثابت عن رسولنا الكريم ﷺ يبين فيه الجادة السوية والنهج السديد لانتظام مصالح المسلمين واستقامة أمرهم، ويحذّر من المسالك المنحرفة والطرائق المعوجة التي لا يؤمن معها العثار ولا تجلب للمسلمين إلا الأضرار والأخطار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقُتِلَ قِتْلَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمْتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِدِي عَهْدٍ عَهْدُهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»^(١).

وقد تضمن هذا الحديث ثلاثة وصايا حكيمة يجدر بالمسلم أن يتأملها وأن يجتهد في تحقيقها وتطبيقها:

الوصية الأولى: السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين والنصح لهم وعدم الخروج عليهم ونزع اليد من طاعتهم والحذر من مفارقة جماعتهم؛ ومن خالف ذلك فمات مات ميتة جاهلية. ولهذا يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأسٍ وأمير، ولا إمرة إلا بالسمع والطاعة، وولاية الأمر بإذن الله بهم تنتظم مصالح المسلمين وتجتمع كلمتهم وتؤمن سبلهم وتقام صلاتهم ويُجاهد عدوهم، وبدونهم تتعطل الأحكام وتعم الفوضى ويختل الأمن ويكثر السلب والنهب وأنواع الاعتداء ويثلم صرح الإسلام ولا يأمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. والواجب اتخاذ الإمارة ديناً

وقربة يُتقرب بها إلى الله مع النصح للولاة والدعاء لهم بالتوفيق والسداد والصلاح والعافية، والحذر من سبهم والطعن فيهم وغشهم، وقد ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهانا كبارؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغْشَوْهُمْ، وَلَا تَبْغُضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمَرَ قَرِيبٌ»^(٢).

الوصية الثانية: التي تضمنها هذا الحديث العظيم: تحقيق الأخوة الإيمانية والرابطة الدينية، والحذر من العصبية المذمومة والتعصبات المحمومة والحميات الجاهلية والعصبية العرقية التي تمزق ولا تجمع وتشتت ولا تؤلف وتفسد ولا تصلح، ومن آثارها الوخيمة: نشوء القتال تحت رايات عُمِّيَّة يُغْضَبُ فيها لعصبة ويدعى إلى عصبة وينتصر لعصبة، ومن كان على هذا النهج فقتل فقتلته جاهلية.

الوصية الثالثة: حفظ وحدة المسلمين ومراعاة حرمتهم والوفاء بعهودهم وعقودهم وعدم إخفار ذممهم والبعد عن الإضرار بهم وإيذائهم، ومن انحرف عن هذا السبيل المبارك وخرج على المسلمين يضرب برّهم وفاجرهم ولا يتحاشى من مؤمنهم ولا يفي لذي عهد عهده فالنبي ﷺ منه براء؛

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (رقم/ ١٠١٥) قال الألباني معلقاً عليه في «ظلال الجنة» (٢/ ٤٨٨): إسناده جيد.

وجوب لزوم

تَجَمُّعُ الْمُسْلِمِينَ
وَأِمَامِهِمْ



إِعْدَادُ

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْبَدْرِي

دار المجتهد

والإقبال على طاعته جلّ وعلا وحفظ أمره ونهيه، فهو جلّ وعلا الذي يؤمن الخائف ويهدي الضال ويهدي جلّ وعلا إلى سواء السبيل، وليحذر -ولا سيما شباب المسلمين- من الأفكار المنحرفة والسبل المعوجة التي لا يترتب على وجودها إلا الأضرار الجسيمة والأخطار العظيمة التي تجر على أربابها وغيرهم الويلات. وهذه دعوة لعودة صادقة وأوية حميدة إلى كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ؛ فإن عزّ الأمة وسعادتها وطمأنيتها بلزوم كتاب الله وسنة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وما وجود أمثال هؤلاء الشذاذ إلا لمخالفتهم لكتاب الله وهدى محمد عليه الصلاة والسلام؛ فلم يجنوا هذه المخالفات لكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام إلا هذه الأضرار التي نلمسها ونشاهدها بين وقت وآخر؛ أرواحٌ تهدر، ونفوس تزهق، ومؤمنون يروعون، وأموال تدمر، وليس من وراء ذلك نتيجة إلا إيذاء عباد الله وانتهاك حرّات الله جلّ وعلا ومفارقة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. ومع كل هذه الشنائع يظن هؤلاء الأثمون أنهم مصلحون وهم في الحقيقة مفسدون ولكن لا يشعرون. ونسأل الله عز وجل أن يحفظ على أمة الإسلام أمنها وإيمانها وإسلامها وسلامتها، وأن يهدي ضال المسلمين وأن يردهم إلى الحق رداً جميلاً، وأن يعيذنا من الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن.

ولهذا قال في الحديث: «فَلَيْسَ مِنِّي وَلَكْتُ مِنْهُ».

فما أعظم هذه الوصايا وما أشد حاجتنا إلى تطبيقها لتحقيق لنا الخيرية ولنا من من الأخطار المحدقة والشرور المهلكة والعواقب الوخيمة.

ومن يتأمل هذه الوصايا المباركة والتوجيهات السديدة يدرك سوء حال وقبيح فعال الفئة الضالة والمجموعة المنحرفة ممن اتخذوا إخافة المؤمنين وإرهاب الآمنين وقتل المسلمين والمستأمنين وتخريب المساكن وتفجير الدور سبيلاً وطريقاً ويزعمون أنهم يصلحون ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

أَفَمِنْ الإصلاح قتل النفوس المعصومة من الولدان والنساء والشيب؟! أَوْ مِنْ الإصلاح الخروج على ولي أمر المسلمين ونزع اليد من الطاعة وقتل رجال الأمن وتسفيه العلماء وتجهيل الفقهاء؟! أَوْ مِنْ الإصلاح إتلاف الأموال المحترمة وتدمير الدور والمساكن؟! أَوْ مِنْ الإصلاح نقض العهود وإخفاء الدماء وقتل المعاهدين والمستأمنين؟! هيهات وحاشى أن يكون هذا سبيل المصلحين.

فليستشعر كل واحد منا أن أمن البلاد مسؤولية الجميع؛

ولنحافظ على أمنه بمراقبة الله تبارك وتعالى وخشيته وتقواه